والرضى لا يعطاهما العبد في الشدة الا اذا كان ممن يتعرف الى الله في الرخا فقد بشر
الله على الصبر بما تستعذب به مرارته فقال سبحانه وبشر الصابرين الاية
واما الرضى فجزاؤه الرضى الذي هو افضل الجزا وما يلقاها الا الذين صبروا وما
يلقاها الا ذو حظ عظيم فاذا كان العبد في الرخا كذلك حفه اللطف في
الشدة كما قلنا ونزلت عليه السكينة والهم الصبر والرضى وان دعا استجيب
له ولا ينافي الدعا برفع الشدة الصبر والرضى كما هو معلوم من شان الانبيا
والجملة اي قوله تعرف الى الله في الرخا يعرفك في الشدة استعارة تمثيلية وفي
كل من الفعلين استعارة تبعية وقوله اذا سالت فاسال الله ترقي في الارشاد
واشارة الى ان العبد اول ما يجب عليه بعد معرفة الله تعالى
رعاية حقوقه بحسب الاستطاعة واستفراغ الوسع للقيام بذلك فاذا
فعل ذلك وقد خلق مفتقرا الى ما يقيم اوده ويمسك بنيته فلا بد له
من طلب ذلك والظاهر انه بايدي الخلق لان الانسان يولد وما على وجه
الارض شي الا وهو في يد انسان حريص عليه شحيح به وينشا كذلك فربما
توهم انه لا بد له من طلب ذلك منهم او من نفسه بتكليفها تحصيل شي
من ذلك وهذا يشغله عما طلب منه اولا فارشده الى ان ذلك جميعه
بيد الله سبحانه وتعالى هو وملكه الظاهرة ليس الى احد منهم نفع
ولا ضر فاذا اراد ان يسال شيا من ذلك وهو سايل ولا بد له لافتقاره ولذلك
صدرت الشرطية باذا المشعرة بتحقيق الوقوع فيسال ما بيده ذلك وليس
الا الله عز وجل وكذلك الانسان مدني بالطبع لا يتم له امر معاشه ولا معاده
بنفسه بل لا بد له من الاستعانة بنوعه فقيل له واذا استعنت فاستعن بالله
فان الخلق نواصيهم بيده ان شا اقبل بهم عليك وان شا صرفهم عنك فلا تشغل
نفسك بهم وكل من الجملتين تفيد الحصر لانها بمعنى لا تسال الا الله تعالى ولا تستعن
الا به كما لا يخفى تحقيقه ان ادوات الشرط تفيد العموم فيكون المعنى كلما اردت
السوال فاسال الله فيفيد بمعونة المقام ان لا تسال سواه وهذه مرتبة ازكى
من مراتب السلوك فانه لا بد لك من قطع النظر عن الخلق راسا وهو المقام المسمى

بالتوكل المنوه

بالتوكل المنوه بشانه في القران العظيم لا سيما قوله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان
كنتم مومنين فلا بد من تصحيح التوكل وهو عدم اعتماد القلب على شي من الاسباب
وعلامة ذلك عدم اضطرابه عند فقدها ليتم له التوجه الى الله تعالى والا
فما دام يرجوا شيا غير الله او يخافه فلا بد وان يشتغل القلب به وقد قدمنا
ان القلب اذا توجه الى شي اعرض عما عداه فاين التوجه الى الله مع ملاحظة
سواه وهذا اصل عظيم من اصول الطريق حتى ربما كابده بعضهم السنين
ذوات العدد وذلك لبعده عن الطبع اذ النفس مجبولة على التشبث بما تتوهم
منه النفع والتوقي عما تتوهم منه الضر والاسباب العادية نصب عينها
تشاهدها دايما يصدر عنها من النفع والضر ما تعاينه والشيطان والهوى
يساعدان الطبع على الميل الى الاسباب والتشبث بها ولم يبق الا العقل المويد
بنور الايمان فانه اذا حقق النظر علم ان جميع ما يظهر له الامر بخلافه والدلايل
العقلية متوافرة على ذلك وهذه الايات القرانية والاحاديث النبوية طافحة
بذلك فالتوكل يكون عن الايمان بالقدر فهو برتبة الايمان ضعفه وقوته بقدر
الايمان بالقدر وزنا بوزن وبسط ذلك وتحقيقه في كتب القوم ومن اظهر
الادلة الصادرة عن مشكاة النبوة هذا الحديث الشريف وقد حققه بقوله
قد مضى القلم بما هو كاين فلو جهد الخلايق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك
لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه قوله
ومضى القلم اي جرى او مضى حكمه واضافة الحكم اليه من مجاز الاسناد ففيه
حينيذ مجازان وعلى الاول مجاز واحد وفيه دليل لسبق القضا وهو الحكم
الازلي على الاشيا بما هي عليه فيما لا يزال واختلفوا هل يرجع الى العلم او الفعل
او الارادة ذهب الى الاول الفلاسفة والى الثاني الماتريدية والى
الثالث الاشاعرة وهل هو والقدر مترادفان او لا الاكثر على الثاني فقال
الفلاسفة القضا عبارة عن علمه تعالى بما ينبغي ان يكون عليه الوجود
حتى يكون على احسن النظام واكمل الانتظام وهو المسمى عندهم بالعناية
الازلية التي هو مبدا الفيضان الموجودات من حيث جملتها على احسن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)